وعلمت من آياته في الآفاق ما يدلك على أن القرآن حق وأن الرسول حق وأن الله سبحانه
ينجز وعده لا محالة فالتاريخ تفصيل لجزئيات ما عرفنا الله ورسوله من الأسباب
الكلية للخير والشر **فصل** والأمر الثاني أن يحذر مغالطة نفسه له
على هذه الأسباب وهذا من أهم الأمور فإن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من
الأسباب المضرة في دنياه وآخرته ولا بد ولكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله
ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة وبالاستغفار باللسان تارة وبفعل
المندوبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج بالقدر تارة وبالاحتجاج بالأشباه
والنظراء والاقتداء بالأكابر تارة وكثير من الناس يظن أنه لو فعل ما فعل ثم قال أستغفر الله
زال أثر الذنب وراح هذا بهذا وقال لي رجل من المنتسبين إلى الفقه أنا أفعل ما
أفعل ثم أقول سبحان الله وبحمده مائة مرة وقد غفر ذلك أجمعه كما صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن
كانت مثل زبد البحر وقال لي آخر من أهل مكة نحن أحدنا إذا فعل ما فعل ثم
اغتسل وطاف بالبيت أسبوعا وقد محي عنه ذلك وقال لي آخر قد صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال أذنب عبد ذنبا فقال أي رب قد أصبت ذنبا فاغفره
لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فقال أي رب أصبت ذنبا فاغفره
لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا فقال أي رب أصبت ذنبا فاغفره لي فقال
الله عز وجل علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع
ما شاء قال وأنا لا أشك أن لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس قد
تعلق بنصوص الرجاء واتكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه وإذا عوتب على الخطايا
والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء وللجهال
من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب كقول بعضهم

وكثر ما استطعت من الخطايا ؏ إذا كان القدوم على كريم ؏

وقول الآخر التنزه من الذنوب جهل بسعة عفو الله وقال الآخر ترك الذنوب جراءة أبو
على مغفرة الله تعالى واستصغار لها وقال محمد بن حزم رأيت بعض هؤلاء يقول في دعائه
اللهم إني أعوذ بك من العصمة ومن هؤلاء المغرورين من يتعلق بمسألة الجبر وأن

العبد

العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وإنما هو مجبور على فعل المعاصي ومن
هؤلاء من يغتر بمسألة الإرجاء وأن الإيمان هو مجرد التصديق والأعمال
ليست من الإيمان وإيمان أفسق الناس كإيمان جبريل وميكائيل ومن هؤلاء من كإيمان صح
يغتر بمحبة الفقراء والمشايخ والصالحين وكثرة التردد إلى قبورهم والتضرع
إليهم والاستشفاع بهم والتوسل إلى الله بهم وسؤاله بحقهم عليه وحرمتهم
عنده ومنهم من يغتر بآبائه وأسلافه وأن لهم عند الله مكانة وصلاحا
فلا يدعوه أن يخلصوه كما يشاهد في حضرة الملوك فإن الملوك تهب لخواصهم ذنوب فلا يدعوه أن صح
أبنائهم وأقاربهم وإذا وقع أحد منهم في أمر مفظع خلصه أبوه وجده بجاهه
ومنزلته ومنهم من يغتر بأن الله عز وجل غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في
ملكه شيئا ولا ينقص من ملكه شيئا فيقول أنا مضطر إلى رحمته وهو أغنى
الأغنياء ولو أن فقيرا مسكينا مضطرا إلى شربة ماء عند من في داره شط يجري لما
منعه منها فالله أكرم وأوسع فالمغفرة لا تنقصه شيئا والعقوبة لا تزيد في ملكه
شيئا ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة
فاتكلوا عليه كاتكال بعضهم على قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قالوا وهو
لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمته وهذا من أقبح الجهل وأبين الكذب عليه
فإنه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة
والمصرين على الكبائر فحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يرضى بما يرضى به
ربه تبارك وتعالى وكاتكال بعضهم على قوله تعالى إن الله يغفر الذنوب جميعا وهذا
أيضا من أقبح الجهل فإن الشرك داخل في هذه الآية وإنه رأس الذنوب وأساسها
ولا خلاف أن هذه الآية في حق التائبين فإنه يغفر ذنب كل تائب من أي ذنب كان
ولو كانت الآية في حق غير التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلها وأحاديث إخراج
قوم من الموحدين من النار بالشفاعة وهذا إنما أتي صاحبه من قلة علمه وفهمه فإنه
سبحانه ههنا عمم وأطلق فعلم أنه أراد التائبين وفي سورة النساء خصص وقيد
فقال إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأخبر سبحانه أنه لا يغفر
الشرك وأخبر أنه يغفر ما دون ذلك ولو كان هذا في حق التائب لم يفرق بين الشرك وغيره

Copyright © King Saud University